عمران
للدراسات الاستراتيجية
OMRAN
For Strategic Studies

النصرة والقاعدة...
تداعيات سيناريو حل البيعة

ورقة تحليلية
مسار السياسة والعلاقات الدولية

مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

مؤسسة بحثية مستقلة ذات دور رائد في البناء العلمي والمعرفي لسورية والمنطقة دولةً ومجتمعاً وإنساناً، ترقى لتكون مرجعاً لترشيد السياسات ولرسم الاستراتيجيات.

تأسس المركز في تشرين الثاني/نوفمبر 2013 كمؤسسة بحثية تسعى لأن تكون مرجعاً أساساً ورافداً لصنّاع القرار في سورية والمنطقة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. يُنتج المركز الدراسات المنهجية المنظّمة التي تساند المسيرة العملية لمؤسسات الدولة والمجتمع، وتدعم آليات اتخاذ القرار، وتحقق التكامل المعلوماتي وترسم خارطة الأولويات.

تعتمد أبحاث المركز على الفهم الدقيق والعميق للواقع، ينتج عنه تحديد الاحتياجات والتطلعات ممّا يمكّن من وضع الخطط التي يحقّق تنفيذها تلك الاحتياجات.

الموقع الإلكتروني www.OmranDirasat.org
البريد الإلكتروني info@OmranDirasat.org

تاريخ الإصدار 6 تموز/ يوليو 2015

جميع الحقوق محفوظة © مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

مقدمة

رغم حضور جبهة النصرة في الثورة السورية منذ تأسيسها في بداية عام 2012 والتفافها لقتال النظام بشراسة، مستغلة ضعف فصائل المقاومة الوطنية تنظيمياً، ومستفيدة في مرحلة متقدمة من أخطاء تنظيم الدولة، ومشاركتها وتنسيقها مع بعض القوى الوطنية العسكرية في بعض المعارك، إلا أن هذا الحضور بات **إشكالياً** مع استمرار النصرة بالارتباط بتنظيم القاعدة واعتبار نفسها فرعاً له في سورية، بعد البيعة العلنية من أميرها (أبو محمد الجولاني) لأمير القاعدة (أيمن الظواهري) بتاريخ 10 أبريل 2013 [1]. **وبناءً على ذلك تحاول هذه الورقة التحليلية تفكيك هذا الإشكال وأسبابه، عبر تعريف العلاقة "البيعة" بين جبهة النصرة وتنظيم القاعدة في أفغانستان (القيادة المركزية)، وتوضيح احتمالية حل هذا الارتباط وأثره على الطرفين، ودراسة أثر ذلك على قوى المقاومة الوطنية، وخيارات تلك القوى أمام مشروع النصرة المتنامي باستمرار على حساب المشروع الوطني الثوري السوري.**

بيعة التكتيك والمنفعة المتبادلة

أُنشئت "دولة العراق الإسلامية" في 13أكتوبر/ تشرين الأول 2006 دون استشارة تنظيم قاعدة الجهاد (القيادة المركزية)، ولكن بعد إقامتها أرسل عضو مجلس شورى أبو حمزة المهاجر رسالة لأسامة بن لادن، يؤكد فيها على أن هذه الدولة فرع عن قاعدة الجهاد ويؤكد أن مجلسها للشورى أخذ عهداً على أميرها أبو عمر البغدادي ببيعته لأسامة بن لادن، مؤكداً بالتالي بيعة دولة العراق وولاءها لتنظيم القاعدة. وبعد مقتل أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر، ومن ثم مقتل أسامة بن لادن على يد القوات الأمريكية وتولية أيمن الظواهري أميراً لتنظيم القاعدة، وليَ من يدعى أبو بكر البغدادي أميراً على تنظيم دولة العراق "الإسلامية" وذلك بناء على قرار مجلس شورى تنظيم دولة العراق "الإسلامية" دون العودة إلى التنظيم الدولي، ثم تم مراسلة الظواهري لمباركة هذه التولية، ودخل أبو بكر البغدادي كمن سلفه ببيعة للقاعدة، وقد أكدّ البغدادي هذه البيعة في أكثر من تسجيل صوتي [2]. بقيت تلك البيعة مستقرة لغاية إعلان البغدادي عن تأسيس "الدولة الإسلامية في العراق والشام" ودمج جبهة النصرة بالجسم الجديد بتاريخ 9 نيسان / أبريل 2013 وتمرد الجولاني عليه إثر الإعلان. **فكان بموجب ذلك خلافاً تنظيمياً بين الفصيلين، استدعت الحاجة لاحقاً لإلباسه لبوساً شرعياً لتبرير القتال بينهما.**

بدى الخلاف بين النصرة وتنظيم الدولة حذراً في الشهور الأولى، وما لبث أن تطور إلى نزاع مسلح اندلع بدايةً في محافظة الرقة وتصاعد بشكل شرس في دير الزور، ليمتد إلى كل مناطق نفوذ التنظيمين. فرُفِعَ أمر الخلاف إلى تنظيم القاعدة للفصل في النزاع، فكلّف أيمن الظواهري أبو خالد السوري لاستبيان الخلاف وتأسيس محكمة شرعية للفصل بين

---

[1] انظر: رابط تسجيل صوتي لأمير جبهة النصرة **أبو محمد الجولاني يعلن فيه البيعة لأمير تنظيم القاعدة، أيمن الظواهري**، تاريخ النشر: 10 أبريل 2013: https://www.youtube.com/watch?v=6FdTjm4-6Lo

[2] انظر: رسالة صوتية لأمير تنظيم جماعة قاعدة الجهاد في أفغانستان، **أيمن الظواهري، يوضح من خلاله طبيعة العلاقة بين تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وتنظيم القاعدة في أفغانستان**، تاريخ النشر 15 سبتمبر 2015. https://www.youtube.com/watch?v=e21OztWZfVU

الطرفين، ثم خرج الظواهري بأمر حل "دولة العراق والشام الإسلامية" والحفاظ على "دولة العراق الإسلامية" ضمن حدود العراق وأميرها البغدادي، بينما تعد النصرة فرع مستقل لجماعة قاعدة الجهاد يتبع القيادة العامة، حدودها سورية وأميرها أبو محمد الجولاني [3].

وقعت جبهة النصرة في أزمة هوية بعد قتالها مع الجسم الأكبر الذي كانت تنتمي إليه (تنظيم الدولة)، وافتقادها إلى مظلة شرعية تضم ما تضم من "أهل الجهاد ورواده وعلمائه"، خصوصاً وأن النصرة لم تكن بالقوة المطلوبة، وإنما كانت جسماً ناشئاً يافعاً. إضافة إلى أن الجولاني كان مطالباً أمام عناصره بأن يبرر الانفصال عن دولة البغدادي ورفضه الاندماج، **وأمام تلك التحديات لم يكن أمام أبو محمد الجولاني إلا الإعلان عن بيعته لأيمن الظواهري الجسم الأكبر (الأصل) "على السمع والطاعة" هرباً من التزامه بالجسم الأصغر وهو تنظيم الدولة (الفرع)**.

رفض تنظيم الدولة قرار الظواهري ومبايعة الجولاني للقاعدة، وابتدع نهجاً جديداً للتنظيمات الجهادية العابرة للحدود استهل من خلاله تصدير الخلافات البينية على الإعلام. فقام تنظيم الدولة بإرسال عدة تسجيلات لأمير القاعدة تثنيه تارةً عن قبول بيعة الجولاني، وتفند تارةً أخرى الخلل الشرعي الذي وقع فيه، ولعل أبرزها تسجيل العدناني المتحدث الرسمي باسم تنظيم الدولة بعنوان "عذراً أمير القاعدة" الذي أسس لفك بيعة تنظيم الدولة عن القاعدة. ولعل أهم ما كشفت عنه مساجلة وجدال أخوة المنهج آن ذاك، أن بيعة تنظيم الدولة للقاعدة لم تكن إلا التزاماً أدبياً لم يستتبع دعماً مادياً أو لوجستياً من "الأصل"، وأنها لم تتجاوز شكلية الاستشارات الشرعية من حين إلى آخر [4].

فَطِنَ أيمن الظواهري سريعاً أن البغدادي نسخة أكثر "غلواً" من أبو مصعب الزرقاوي، وأنه سيتجاوز تنظيم القاعدة بمعزل عن طريقة معالجة الأخيرة لإشكالية بيعة الجولاني، لا سيما وأنه قد أعلن دولته دون استشارة أمراء القاعدة، الأمر الذي أكده الظواهري في جلّ تسجيلاته. ناهيك عن إدراكه أن تنظيم الدولة سحب جزءاً كبيراً من البساط الجهادي من تحت قدمي قاعدة الجهاد العالمي، خصوصاً بعد مبايعة عدة جماعات جهادية للبغدادي في (اليمن، تونس، ليبيا، إفريقيا، واستقطاب عدد كبير من مهاجري أوربا) [5]. **اغتنم البغدادي الظرف الناشئ والعطالة الحركية التي أصابت التنظيمات السلفية الجهادية بإعلانه "الخلافة الإسلامية"** بتاريخ 29 حزيران/ يونيو 2014 وتولية نفسه "خليفة للمسلمين"، فكان خيار القاعدة استئثار أبو محمد الجولاني على البغدادي، والذي يمثل مشروعاً جديداً للاستثمار في بلاد الشام.

يظهر هنا جلياً أنه فضلاً عن العلاقة البنيوية والتنظيمية التي تربط النصرة بالقاعدة، فقد تعززت علاقتهما الثنائية على أساس تبادل المنفعة والمصالح، وفي الوقت الذي احتاج فيه الجولاني إلى مظلة شرعية بديلة عن تنظيم الدولة، كان التنظيم الدولي بحاجة إلى قاعدة شعبية جديدة بعد أن احتكرها البغدادي في إعلان الخلافة.

---

[3] انظر: **تسجيل صوتي لأمير تنظيم القاعدة، أيمن الظواهري يبطل من خلاله إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام**، تاريخ النشر: 27 كانون الأول/ديسمبر 2013. https://www.youtube.com/watch?v=Cax1C6ETCp0

[4] انظر: رابط **تسجيل صوتي بعنوان "عذراً أمير القاعدة"** للناطق الرسمي باسم تنظيم الدولة الإسلامية، أبو محمد العدناني، يعلن فيه فك البيعة عن القاعدة، ويطالب فيه القاعدة برفض بيعة الجولاني، تاريخ النشر 17 سبتمبر 2014. https://www.youtube.com/watch?v=CABdG63z87k

[5] انظر: مجموعة **جماعات جهادية من مختلف أنحاء العالم، بايعت تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام** منذ إعلان الخلافة: http://raseef22.com/politics/2014/10/03

تداعيات حل البيعة على المشهد السوري

إن حضور النصرة الإشكالي في الثورة السورية وتعاظم قوتها دفع العديد إلى تشجيعها على رمي هذا الوزر الذي حملته وحمّلته لغيرها ببيعتها للقاعدة، ولكن دون حسبان الوجه الآخر لهذا الانفكاك إن تم، وذلك وفقاً لطبيعة النصرة كتنظيم متعاظم القوة وارتباطه بمشروع عابر للحدود، وقياساً للظروف التي تمر فيها الثورة السورية في الوقت الحالي؛ لا بدّ من تفكيك آثار حل تلك البيعة في هذه المرحلة، وارتداداتها على قوى المقاومة الوطنية والمشروع الوطني السوري، ويمكن حصر أهم تلك الآثار بالنقاط التالية:

ملامحُ تحول استراتيجي في بنى القاعدة

يفرض الواقع الجديد على تنظيم القاعدة، إعادة التفكير في تموضعها الدولي والإقليمي ويحتم عليها إعادة تعريف حدود مشروعها الأممي. وسيسهم تراجع الدعم الشعبي للمشاريع الأممية عامة، وانتقال مركز الجهاد العالمي من أفغانستان إلى المشرق العربي في خلوص التنظيم إلى هذه النتيجة عاجلاً أم آجلاً. وتشير القراءة الأولية لتصريحات أمراء ومنظري القاعدة توجه الأخيرة للانتقال **من مشروع الجهاد العالمي والتنظيمات العابرة للحدود إلى مفهوم الجهاد المحلي داخل حدود المجتمعات** [6]. فلقد استجلبت تجربتها الأممية كوارث على قاعدة الجهاد في أفغانستان وأفرزت نشوزاً أكثر غلواً وخارج السيطرة تماماً، في حين يمكّنها مفهوم الجهاد المحلي اليوم من تأسيس قاعدة شعبية لأفكارها والحد من العزلة التي غالباً ما كانت تقع ضحيةً لها. وضمن هذا التوجه تعتبر جبهة النصرة تجربة جديدة لتنظيم القاعدة، والحامل الأساسي لقياس نجاعة هذه الاستراتيجية. **لذلك ليس غريباً افتراض حصول حل بيعة النصرة من جانب القاعدة دون أن يبادر بها الجولاني**، أو أن تأتي بالتنسيق بين التنظيمين، خصوصاً وأن أيمن الظواهري قد أكد بوقت سابق عبر مقابلة مصورة أن أهم أوجه خلاف القاعدة مع تنظيم الدولة، هو عدم إعلان وجود التنظيم في الشام. وعقّب قائلاً إن مخالفة البغدادي قدمت فرصة ثمينة لبشار الأسد للتذرع بالقاعدة في محاربة الشعب السوري، مؤكداً "أن السبيل الأول لنجاح أي تجربة جهادية هو التحام المجاهدين بالحاضنة الشعبية"، مستشهداً بتجربة طالبان وتجربة الشام، في إشارة إلى جبهة النصرة"[7].

وبناءً عليه يمكن القول إن تحولات المشهد السوري ومعطيات واقع القاعدة الحالي تملي عليها إعادة النظر في بنيتها التنظيمية وإعادة تعريف علاقتها مع فروعها وجعلها أكثر مرونة وأكثر محليةً، بشكل يحسن تموضعها، إلا أن هذه التحولات والمعطيات لا تهيئ لعوامل فك البيعة من قبل النصرة منفردةً، فالقاعدة تمدها بشرعية سياسية تحميها من تسرب عناصرها باتجاه تنظيم الدولة، فضلاً عن وجود مقاتلين وقادة ولاءهم الأول للظواهري. وبالتالي يستوجب إعلان حل البيعة قدرة النصرة على مقاومة عوامل الانحلال الذاتي من خلال اكتساب مد شعبي متجذر يزودها بشرعية محلية بديلة.

---

[6] انظر: مقابلة مصورة مع أمير تنظيم القاعدة، أيمن الظواهري، يؤكد من خلالها على أن أساس العمل الجهادي الالتحام بالأمة، جبهة النصرة نموذجاً، تاريخ النشر 6 مارس 2015. https://www.youtube.com/watch?v=giHUgIbXBmc

[7] المرجع السابق.

انسيابية الانضمام

استطاعت جبهة النصرة أثناء ارتباطها مع تنظيم القاعدة استقطاب العديد من الشباب السوري، نتيجة لعدة ظروف موضوعية وذاتية على الرغم مما كان يشكل هذا الارتباط من ضغط محلي وإقليمي ودولي على الثورة السورية. وقد يؤدي حل البيعة اليوم إلى **انسيابية انضمام العناصر من مختلف الفصائل إلى النصرة، بعد إزالة هامش الفرق بينها وبين باقي التجمعات الإسلامية العسكرية**. كما أنه يفتح الباب واسعاً أمام انضمام فصائل بالكامل إلى النصرة باعتبارها مشروع إسلامي محلي. ولقد أثبتت التجربة السابقة تعاظم احتمالية حدوث هذا السيناريو في حال توفر المناخ المناسب، تماماً كما حدث مع عدد من كتائب جبل الزاوية بعد قضاء النصرة على نفوذ جمال معروف فيه. أضف إلى ذلك توفر مجموعة من العوامل الذاتية التي تشجع الشباب للانضمام إليها بمعزل عن إشكالية ارتباطها بالقاعدة، كتمتعها بحاضنة شعبية محلية، واتّصافها بجدية القتال ضد النظام، وانتمائها لمشروع سلفي جهادي تتقاطع فيه بدرجة كبيرة مع عدد من الفصائل الإسلامية، وليس آخراً لتفوق بنيتها التنظيمية على معظم القوى الوطنية. لذلك فإن حل البيعة قد يمثل إزالة العقبة التي منعت الكثير من الانضمام إليها، ما قد يأتي بنتيجة عكسية وهي زيادة قوة النصرة.

تدجين فكر القاعدة محلياً

عند الحديث عن حل البيعة فإن المستهدف به ليس كامل جبهة النصرة، وإنما التعويل هنا على تيار محدد لقب "بالإصلاحي" أو الأنصار ممثلاً بـ (أبو ماريا القحطاني، ومظهر الويس) أكثر من التيار الملقب بالحرس القديم أو الصقور ممثلاً بـ (سامي العريدي). في المقابل فإن الاتكاء على هذا التيار يستوجب قدراً كبيراً من الحذر، خاصة وأنه جزء أصيل من المجتمع السوري ويحمل فكر القاعدة، مع العلم أن فك الارتباط لا يعني سياسياً التبرؤ من فكر القاعدة بقدر ما هو فعل إعلامي ذو أهداف تكتيكية، أي أن فك الارتباط عبر هذا التيار قد يأتي في سياق تدجين **القاعدة داخل المجتمع السوري وتجذيرها**.

ملء الفراغ السياسي والديني

تعتمد الحركات والتنظيمات السلفية الجهادية على الاستدلال بموروث فكري مجتزأ في التسويق لمشروعها السلطوي، في حين تستند واقعياً إلى حالات الفراغ السياسي. فغياب مشاريع إسلامية أو سياسية ناضجة للمعارضة لا يزال يساهم بشكل فعّال في استمرار حالة الفراغ السياسي، ويسمح لأصحاب المشاريع الأخرى الانفراد بالساحة ومصادرة المبادرة السياسية والدينية على الصعيد المحلي. مقابل ذلك فإن ما تمتلكه جبهة النصرة من كمون يجعلها مرشحاً قوياً في استغلال هذه الفرصة من خلال تصدير نفسها كمشروع إسلامي يقاوم نظام الأسد وتنظيم الدولة معاً، خاصة في ظل عدم تلاقي المشاريع الوطنية البديلة حول منهج ورؤية موحدة، حيث أن أغلب قوى المقاومة الوطنية الإسلامية على الأرض لم ترق بعد لمشروع وطني جامع، إضافة للائتلاف الوطني السوري والذي لم يستطع بحكم بنيته وظروف المشهد السوري الإقليمية والدولية من جعل الحاضنة الثورية تلتف حول رؤية سياسية واضحة. **وفي ظل حالة الفراغ هذه فإن تقديم النصرة كفصيل سوري داخلي لا يرتبط بالقاعدة، قد يؤدي إلى دعم تحويلها إلى مشروع بشكل أو بآخر.**

خيارات قوى المقاومة الوطنية (المشي بين الألغام)

إن مواجهة القوى الوطنية المباشرة مع النصرة قد تدفع أجزاء كبيرة منها لإجراء تحالفات تكتيكية مع ألد أعداءها المتمثل في تنظيم الدولة، وهذا ما حدث في عدة جبهات من سورية (أحداث مخيم اليرموك الأخيرة على سبيل المثال)، ومن جهة أخرى يشكل إرجاء معالجة مشروع الجبهة المحلي والأممي خياراً سلبياً ستنعكس تداعياته على المشاريع الوطنية المحلية، ويعطي للقاعدة بحبوحة في التخطيط والزمن لحل بيعة النصرة لها ريثما تتمكن الأخيرة في سورية. إلّا أنه وبرغم ذلك، لايزال أمام قوى المقاومة الوطنية هامش للتحرك **الاستراتيجي والتكتيكي** في التعامل مع النصرة وتجنب المواجهة المباشرة وتضيق طموحات جبهة النصرة.

الخيار الاستراتيجي

لا يمكن إغفال دور جبهة النصرة كفصيل فاعل ومؤثر على الساحة العسكرية والسياسية السورية، إلا أنه وفي الوقت نفسه فإن هذا الفصيل استمد قوته ومازال نتيجة عدم وجود مشروع وطني يملئ الفراغ الذي ملأته النصرة بخطابها الديني وأدائها العسكري. ولذا يعد إيجاد مشروع سياسي وطني ذو **خطاب إسلامي** تجتمع حوله وتتبناه الجماعات الثورية، وجاذب وطموح بديلاً عن مشروع جبهة النصرة، ضرورة لم تعد تقبل التأجيل، خصوصاً في ظل تراجع أداء البدائل الحاليين. وتقتضي الحاجة رفد هذا المشروع بأسباب القوة الرادعة التي تقي القوى الوطنية من حمى مواجهة النصرة عسكرياً، والمؤسسة للقضاء على ثنائية "إما تنظيم الدولة أو أنا". هذا المشروع لابد أن يكون استراتيجياً سواء لمواجهة النصرة أو غيرها بحيث يكون له محددات وطنية واضحة.

خيارات تكتيكية

المستوى العسكري: تعميم ودعم تجارب دمج القوى الوطنية في تجمعات **استراتيجية** لا تكتيكية تبعاً لضرورات المعارك أو نتيجةً لتقارب إقليمي أو دولي. ومن ثم تقوية تلك التجمعات عبر ربطها بمشروع سياسي واضح، بحيث تبدو مشروع متكامل يشجع الفصائل الأخرى على الاندماج كما يشجع الأفراد على الانسحاب من تجمعات أخرى كالنصرة، وفي حال دعت ضرورة المعركة مشاركة النصرة مع تلك التجمعات العسكرية في غرف عمليات مشتركة، فلابد حينها من تحييدها عن القيادة مما يمنعها من اتباع تكتيكاتها المعتادة خلال المعارك، كاختيار الجبهات التي تناسبها وفقاً لحساباتها الذاتية والابتعاد عن الجبهات التي تستنزفها ودفع قوى المقاومة الوطنية إليها، ناهيك عن الاستئثار بالانتصارات إعلامياً، أو تنفيذ عمليات عسكرية فردية تعود بارتدادات سياسية سلبية على قوى المقاومة الوطنية.

المستوى الشرعي: تحييد النصرة عن التفرد في السيطرة على المحاكم الشرعية، والتي تشرعن بدورها سيطرتها على المجتمعات المحلية، بحيث تتولى الفصائل حمايتها وتفعيلها وإمدادها بأسباب القوة. ويتطلب ذلك تفعيل الدورات الشرعية لقضاة المحاكم وإعادة تأهيل أفرادها شرعياً وتوضيح الفوارق الأساسية بين المشروع الوطني والمشروع الأممي (تغليب مصلحة الجماعة الضيق على مصلحة الأمة) على أسس شرعية وفقهية. إضافة للسعي إلى تفعيل ودعم علماء

السلفية الجهادية ممن أفتوا بعدم جواز الانضمام إلى النصرة ودعم خطابهم أمثال أبي بصير الطرطوسي [8]، إضافة إلى ضرورة التأسيس لقواعد الحياد واستصدار فتوى تحرمه في المعركة، وذلك منعاً لممارسات النصرة التي اتبعتها سابقاً مع جبهة ثوار سورية وحركة حزم في عدم الامتثال لقضاء المحاكم الشرعية، أو إعلانها الحياد عن المعارك التي تستنزفها عسكرياً وهذا ما درجت عليه النصرة في بعض معاركها مع تنظيم الدولة الإسلامية (وآخرها مخيم اليرموك).

المستوى الإعلامي: تنشيط وتفعيل إدارة المعارك إعلامياً، وإعادة تأهيل إعلاميي الفصائل والناشطين الناطقين باسمها، والدفع لعدم استئثار النصرة بالانتصارات إعلامياً عبر تصويرها الغنائم وكأنها الفصيل الوحيد المقاتل في المعركة، وفتح قنوات اتصال مع المحطات والصحف المحلية والعالمية، خصوصاً في الوقت الذي وقعت خلاله العديد من الوسائل الإعلامية في شرك الترويج للنصرة وإظهارها على أنها الفصيل الوحيد المقاوم على الأرض السورية مقابل إغفال دور باقي الفصائل.

المستوى المدني: لا يزال المجتمع المدني بجميع اهتماماته صمام أمان يمكّن المجتمعات المحلية من المشاركة الفعّالة في إدارة شؤون حياتهم اليومية بالإضافة إلى تحصين حقوقهم وتحسين واقعهم المعيشي. ولقد أثبتت التجربة مراراً قصور جبهة النصرة في التعامل مع المجتمع المدني عند حدوث إي اضطراب يهدد سطلتها، لذلك فإن تشجيع الفعاليات المدنية في الاستمرار في أعمالهم الخدمية والتوعوية في المناطق المحررة ضمان لاستمرار شكل من أشكال الرقابة والمحاسبة، وتحقيق الحد الأدنى من المشاركة العملية للمدنيين في الحكم.

[8] هو عبد المنعم مصطفى عبد القادر خضر محمد أحمد حليمة، أبرز منظري التيار السلفي الجهادي، مكنّى بـ"أبي بصير الطرطوسي"نسبة الى بلده طرطوس والتي ولد فيها في1959/10/3 م، **خرج من سورية في ثمانينيات القرن الماضي بعد ملاحقة المخابرات السورية له**، توجه إلى باكستان ثم إلى أفغانستان حيث كان أول المجاهدين العرب، حيث التقى في مدينة بيشاور قادة الجهاد الأفغاني؛ حكمتيار، سياف، وفيما بعد عبد الله عزام، عاد أبو بصير من أفغانستان إلى الأردن وهناك تعرف على أبو مصعب الزرقاوي وأصدر العديد من الكتب المرخصة في الأردن إلى أن ضاقت به السلطات الأردنية، فخرج إلى اليمن ومكث فيها ما يقارب العامين ونصف العام حتى اعتقلته السلطات اليمنية وأجبرته على الخروج من اليمن، ثم خرج إلى ماليزيا فتايلند وأخيراً في بريطانيا، لأبو بصير 27 مؤلفاً وعشرات الأبحاث والمقالات، **ومع اندلاع الثورة السورية واكب أبو بصير أحداثها على الأرض بالفتاوى والتوجيهات الشرعية، وكان آخرها تحريم الانضمام إلى جبهة النصرة، حيث أفتى أبو بصير "بعدم جواز الانضمام إلى جبهة النصرة ما دامت مصرة على ارتباطها بالقاعدة، ومتعصبة لمسمى "القاعدة" على حساب مسمى الإسلام والأمة ومصالح الشعوب المسلمة، وأن هذا الارتباط يجلب الضرر لأهل الشام ولمجاهديهم ولثورتهم وإسلامهم ويُزعّر عسكريًا العالَم كله على الشام وأهله، كما إن مسمّى القاعدة، وقعْدَنة الثورة الشّامية يمدان طاغية ومجرم الشام بمزيد من القوة والحياة، من قبل دول العالَم والمنطقة، ويعطيانه مزيدًا من المبررات على ارتكاب مزيد من الجرائم والمجازر بحق الشعب السوري، على اعتبار أن من يستهدفهم ببراميله المتفجرة هم من القاعدة لا غير، وخاطب أبو بصير كل مجاهد أن: "الانضمام إلى النصرة يُضيق عليك واسعًا، ويجعلك في عسر وضيق وحرج، بعد يسرٍ وسعة من أمرك... وأنت شرعًا وعقلًا بغنى عن هذا كله."**

خاتمة: حدود المشروع الوطني أساس التطويع

عرف التاريخ العديد من الحركات التي صنفت إرهابية من مجتمعاتها المحلية ومن المجتمع الدولي، ومع ذلك انتهى المآل بأغلب تلك الحركات كشريك ضمن المشروع الوطني للدولة، فعلى سبيل المثال لا الحصر ظهر جيش التحرير الايرلندي في إيرلندا الشمالية الخاضعة لسيطرة المملكة المتحدة، وقام بتفجيرات في بريطانيا وعمليات إرهابية أخرى لينتهي به المطاف كحزب سياسي (الشين فين) وممثلين في البرلمان وجزء من الحياة السياسية البريطانية، وكذلك منظمة (إيتا) الإسبانية التي درجت عناصرها على الأسلوب العنفي في مطالبتهم بإقليم الباسك لتنتهي اليوم في محاولات إعادة تأهيل سياسي مع الحكومة الإسبانية، ولعل طالبان ليست ببعيدة عن هذا السياق بعد أن اقتحمت عالم السياسة من خلال مفاوضاتها مع الحكومة الأفغانية، و كذلك إشكالية حزب العمال الكردستاني في تركيا والذي يكاد يصل مع الدولة التركية لتسوية سياسية، و كذلك حزب الاتحاد الديمقراطي الكردستاني بقيادة مسعود البرزاني في العراق بعد تصنيفه كحزب إرهابي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى العديد من التجارب.

ولكن الفرق الأساسي بين جبهة النصرة في الظرف السوري وباقي الحركات والأحزاب المذكورة أعلاه هو خضوعها للواقع وانتهاؤها بتبني **مشروع داخل حدود الدولة** مما سهل في دمجها في الإطار العام للدولة، حيث أن الشرط الأساس الذي جعل دمج هذه الفصائل ممكناً هو تخليها عن العمل المسلح خارج إطار الدولة الجامع واحتكار المجال السياسي والاجتماعي لمعالجة إشكالياتها. في حين جبهة النصرة ومثيلاتها من التنظيمات التي تحمل فكراً عابراً للحدود لا يمكن حصره في حدود دولة أو مشروع وطني، وحتى ولو تم دمجه وذلك ليس مستحيلاً وفقا للمعطيات الدولية والإقليمية المتغيرة تبعاً للمصالح، إلا أنه سيكون أشد خطراً على الدولة السورية المستقبلية، **ففي حالة المعركة فإن الأداة الوحيدة لفرض الفكر والمنهج هي السلاح، ولكن في حال رمي السلاح والاندماج في مجتمع فهناك مئات الطرق والوسائل لفرض الفكر والمنهج.**

عرفت جبهة النصرة منذ نشأتها بمرونتها الفقهية، انطلاقاً من اعتبار سورية دار حرب وتعطيل الحدود فيها وعدم الدخول في مسائل التكفير المباشر والعلني، وانتهاءً الاستفادة من أخطاء تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، وإن مرونة الفقه تلك جزء أساسي من مسألة إظهار جبهة النصرة كنصرات متعددة في مناطق انتشارها، إضافة لبراغماتية هذا التنظيم ومراوغته السياسية والتي دفعت إلى إظهاره بشكل متلون. هذه البراغماتية قد تدفع بالنصرة إلى تجاوز بيعة القاعدة بكل سهولة، أي أن هذه النقطة قد تكون مدخلاً ومبرراً لأي فعل قد تقدم عليه النصرة بعد حساب كل الظروف وقياس حجم المصلحة. وعليه وبغض النظر عن خيارات جبهة النصرة فإنه يجب التأكيد على دور الفاعل الوطني في الاستعداد لأي خيار قد تتخذه جبهة النصرة.

عمران
للدراسات الاستراتيجية
OMRAN
For Strategic Studies

Turkey, Istanbul
Tel. +90 (212) 263 41 74 - **Fax.** +90 (212) 263 41 75
www.OmranDirasat.org - info@OmranDirasat.org